تجليات المقاومة في الشعر السعودي الحديث
الشاعر جاسم الصحيح نموذجا

أ.د.سها صاحب القريشي

جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الإنسانية

Manifestations of Resistance in Modern Saudi Poetry: The Poet Jassim Al-Sahih as a Model

Prof. Dr. Suha Sahib Al-Quraishi

University of Karbala College of Education for Humanities

https://doi.org/10.64704/dawat.2026124713

ملخص البحث

يستعرض البحث تجليات ثقافة المقاومة في شعر الشاعر السعودي جاسم الصحيح بحيث لايبتعد عن مشاعر أبناء الأمة الحقيقية وليس مايراد لهم أن يشعروا به، وعلى الرغم من أن موضوع المقاومة لايعد موضوعا جديدا في أدب الشعوب ولاسيما العربية منها،الا أنه أخذ مظهرا خاصا في السنوات الأخيرة حيث وصل الانقسام بين أبناء هذه الأمة إلى كل ماهو ثابت من القيم والمبادئ التي نشأوا وتربوا عليها ومنها موضوع المقاومة بكل صنوفها،مقاومة المحتل والمستعمر والخائن والحاكم المتواطئ ،ولقد هيأ نضال الشعب اللبناني – ضد الكيان الإسرائيلي الغاصب والخونة الداخليين – بقيادة رمزهم الكبير السيد حسن نصر الله (رحمه الله) والشعب الفلسطيني هيأ للشاعر الأرضية الخصبة في تناول مضامين المقاومة والصمود،وهذا البحث يسعى إلى تحليل تلك المضامين عن طريق تقسيمه على محاوريسبقها تمهيد وتعقبها خاتمة بعدها قائمة بالمصادر التي تم الرجوع إليها.

Abstract

This research examines the manifestations of the culture of resistance in the poetry of the Saudi poet Jassim Al-Sahih, ensuring that his work reflects the genuine feelings of the people of the nation, rather than what others wish them to feel. Although the theme of resistance is not new in the literature of any people, especially the Arab world, it has taken on a particular character in recent years. The divisions within this nation have extended to all the established values and principles upon which they were raised, including the theme of resistance in all its forms: resistance against the occupier, the colonizer, the traitor, and the complicit ruler. The struggle of the Lebanese people—against the usurping Israeli entity and internal traitors—led by their great symbol, Sayyed Hassan Nasrallah (may God have mercy on him), and the Palestinian people, have provided fertile ground for the poet to address the themes of resistance and steadfastness. This research aims to analyze these themes by dividing them into sections, preceded by an introduction, followed by a conclusion, and then a list of consulted sources.

تمهيد

أولا: مفهوم المقاومة:

المقاومة في أصلها اللغوي مأخوذة من الجذر (ق-و-م)، وتدل على القيام والمواجهة والتصدي، فـ"قاوَمَ" تعني واجه وصمد ومانعَ. وهي فعل يتضمن نهوضًا في وجه الآخر، وممانعة لقوة مقابلة[١] ، ويحتوي جذر "قوم" وما يتفرع منه من ألفاظ مثل "مقاومة" على دلالات الصمود والقيام والتحدي[٢].

إذ يوضح أن "المقاومة" تعني: الوقوف في وجه الشيء أو الشخص ومنعه من تحقيق هدفه[٣] .

تعرّف "المقاومة" بأنها: كل فعل منظم أو عفوي يقوم به أفراد أو جماعات ضد سلطة محتلة أو قاهرة، بغرض استعادة الحقوق أو التحرر.

وفي معجم المفاهيم والمصطلحات في الفكر العربي المعاصر- للدكتور محمد عابد الجابري ضمن مشروع نقد العقل العربي فيناقش "المقاومة" ضمن مفاهيم القوة والتحرر والصراع مع الآخر، خاصة في السياق الاستعماري والاستبدادي.

أما في الاصطلاح، فالمقاومة تشير إلى كل فعل فردي أو جماعي يُمارَس ضد سلطة غاشمة، احتلال أجنبي، أو نظام ظالم، بهدف رفض القهر، واستعادة الكرامة والحقوق. وقد تتخذ المقاومة أشكالًا متعددة: سياسية، أو عسكرية، أو ثقافية، أو أدبية، أو حتى روحية[٤] .

بالتالي، فالمقاومة ليست فقط فعلًا عسكريًا، بل هي موقف وجودي وثقافي يُجسّد الرفض والكرامة والحرية، وتظهر في النصوص الأدبية والمواقف السياسية، كما في حياة الأفراد والمجتمعات.

فالمقاومة هي حق الدفاع عن النفس والأرض والعقيدة والقيم،التي يعبر عنها الإسلام بالجهاد،فقد كفلت الشرائع السماوية والقوانين الوضعية والأعراف الدولية والفطرة الإنسانية حق الدفاع عن النفس ومقاومة المحتل للأرض.وتتخذ المقاومة أشكالا متعددة فكل فعل يعبر في جوهره عن رفض الاحتلال، أو تصرف يبدي ممانعة لمشروعه يعد فعلا مقاوما فقتال

المحتل والتعبئة النفسية ضده ومقاطعته والعمل السياسي المنظم للمظاهرات والاعتصامات وعدم المشاركة في مشروعات الاحتلال السياسية ذلك كله يعد ضربا من ضروب المقاومة.

واذا كانت المقاومة تهدف إلى تحرير الأرض والإنسان فإن وسائل تحقيق هذا الهدف تتعدد ضروبها فقد تكون المقاومة مسلحة وقد تكون سياسية أو ثقافية أو مدنية تمثل فعل الجماهير التلقائي على أنه ردة فعل ضد العدوان والاحتلال والقهر والإذلال.

وحيثما حل الاحتلال فثمة مقاومة إذ لولا الاحتلال ماعرفت المقاومة،وإن عمليات المقاومة ضد سلطات الاحتلال هي دفاع عن النفس والوطن في وجه عدوان الاحتلال وتعسفه وتجاوزه لمبادئ القانون الدولي والإعلان العالمي لحقوق الإنسان واتفاقيات جنيف،ومن هنا كانت المقاومة بما فيها المسلحة وسيلة الشعب المضطهد للدفاع عن حقه في الحياة والحصول على استقلاله ونيل حريته،وهي تمثل إرادة أبناء هذا الشعب من أجل قضاياه العادلة في الحرية والكرامة والسيادة على أرضه.

ثانيا: نبذة عن الحركة الشعرية في المملكة السعودية:

في مدة قياسية من الزمن قوامها أقل من نصف قرن تهاوى الشعر العربي القديم الموروث عن عصور صدر الإسلام والعصر الجاهلي، حيث كانت هذه البقعة الجغرافية مرتعا له ليمحى معه. كل أثرللتقاليد الكلاسيكية التي حكمت ذلك الفن العريق[٥].ولقد كانت آثار الضعف واضحة جلية على تلك المنطقة، على كل الأصعدة، إذ كان الإنتاج الثقافي فيها يتصف بالركود، والحياة الاجتماعية تقبع تحت ظلمات التخلف[٦]، كما أن (سيادة الأمية بصورة شبه مطلقة بين صفوف الجماهير)[٧] أرست سيطرة التقاليد والأعراف السائدة التي تعشش في أكثرها الخرافة والجهل وخيمت على طبيعة العلاقات بين أفرادها[٨]، فضلا على ما جرته تلك الأعراف – إلى جانب حب السلطة والطاعة العمياء لشيخ القبيلة مركز السلطة فيها والمحافظ على

هويتها ومنزلتها في المجتمع[٩] - من تناحرات قبلية[١٠]، ألقت بكاهلها على واقع الإنسان في الجزيرة العربية ورمته في غياهب النسيان وأعادته إلى الجاهلية الأولى.

ولكن فجأة ومن دون مقدمات، وتحديدا عند منتصف القرن العشرين، وإذا بـ الجزيرة العربية قد انتهى فيها ذلك، حيث شهدت مصيرا جديدا تمثل باكتشاف النفط وتأميمه بعد الاستقلال، وهو ما أخرج الجزيرة العربية من شللها التام، وسمح بتطور سريع في المجالات كافة لا سيما ابتداء من مطلع السبعينيات، حيث عملت الحكومة على نحو محموم من أجل اللحاق بالعالم وتعويض قرون من الضياع، حتى إنها تجاوزت في نهضتها وعمرانها بعض الدول الأخرى على نحو غير مسبوق، وفي مجالات عدة مما أنتج طبقة وسطى شكلت الطبقة المثقفة المبدعة والمفكرة، وفي مقدمتهم الشعراء.

إلا أن هذا الزلزال - كما يحلو للدوسري أن يسميه - في مجتمع كان غارقا في الخمول والسبات في كل شيء، تسبب بصدمة قاسية أفقدته توازنه، إذ إن اجتياح القيم الغربية هز المجتمع ولم يوقر روح الإنسان نفسه[١١].

ومن ثم فقد كان من البديهي أن تصل التأثيرات الجديدة في الشعر العربي إلى المنطقة على نحو واسع وعميق لكي تحدث أثرا ملموساً، فقد بدا الشعر في هذه المنطقة متأثرا بمحيطه العربي وبدأ يصبح أكثر معنى من جديد، كما أنه أخذ يضيء المشهد الأدبي برمته ولا سيما أنه أصبح مرآة للمشكلات الاجتماعية التي طفت على السطح بانتقال المجتمعات إلى الحياة العصرية، إذن لم يأت هذا الانبعاث الشعري الهائل والمفاجئ في الجزيرة العربية، ومن ثم الانطلاق باتجاهات حديثة تشكل أهم ملامحه من فراغ بل كان متأتياً من صدمة اكتشاف النفط.

ولم تترسخ جذور المشهد الشعري بالمعنى التحديثي في تربة الجزيرة العربية إلا إبان الحقبة التي تم فيها توحيد المملكة)[١٢] وفي عهد الملك عبد العزيز حصرا الذي يعد أول من مهد لإرساء دعائم النهضة الأدبية والفكرية في البلاد

وشجع الصحافة وأنشأ: دور العلم إلى غير ذلك من الإصلاحات[١٣].

وعلى الرغم من تأخر ظهور النهضة الأدبية.. في الحجاز ونجد والإحساء، مقارنة بالأقطار العربية الأخرى)[١٤] فإن (الحجاز أكثر المناطق تأثرا بمسار تلك التحولات لأسباب جغرافية وتاريخية)[١٥] لكن الاهتمام بالتجديد لم يكن معدوماً في بعض المناطق الأخرى كالإحساء والقطيف ونجد وإن كان بوتيرة أقل.

وهكذا فإن نهضة طويلة كانت قد بدأت واستمرت حتى مطلع الثمانينيات، وفي هذه الحقبة اتسم الشعر السعودي بعلاقته الوثيقة بالفنون الشعرية التقليدية من (غزل ومديح ورثاء) مستقيا المناهل نفسها التي استقى منها الشعراء السابقون فكرهم وصورهم، متمثلا المعاني نفسها إلى جانب تقليده للأداء الفني في القصيدة القديمة، فيما يختص بتلك الفنون من ناحية الأسلوب حصرا. وبعبارة أخرى فإن الشعر العربي القديم أو الثقافة العربية القديمة كانت أهم مصادر الشعر السعودي في تلك المدة[١٦]. إلا أن ذلك الشعر كان له أثره البالغ في شعر المدرسة التقليدية الحديثة بوجه خاص، فقد كانت مرحلة النصف الأول من القرن العشرين مفصلية في تطور القصيدة السعودية شكلا ومضموناً إذ إنها كونت القاعدة التي بنت الأجيال الشعرية عليها سمات المشهد العربي، واعتمدتها ركيزة للنهوض والخروج عن المحافظة والتقليد.فقد قسم الشعر المعاصر في المملكة على ثلاثة تيارات شمل التيار الأول منها الشعراء الذين حافظوا – بغلو – على نهج الشعراء القدماء، كما شمل الثاني منها الشعراء الذين قلدوا الشعراء القدماء في مواضع، وقلدوا الشعراء المعاصرين أو الغربيين في مواضع أخرى، أما التيار الثالث فتناول الشعراء الذين ساروا بين التيارين السابقين، فظلوا مشدودين إلى عمود الشعر القديم يجددون ببطء وتثاقل ليتشكل الشعر ما بين عامي ١٩٨٠-١٩٩٠م بوصفه جزءا أساسيا ورئيسا وحيوياً ضمن الشعر العربي الحديث؛ لأنه كان قد تجاوز مرحلة التأثيرات

الأولى، وكانت حقبة الثمانينيات حاسمة لجهة جدارة هذا الشعر ونضوجه، ومن ثم فإنه شهد كلام ولادة سمات عميقة ومميزة للشعر في الجزيرة العربية، هذا الإقليم الذي يمثل - حاليا - مهدا للنتاج الشعري الحديث، في وقت لم يكن فيه حتى وقت قريب سوى شعر هامشي لا يذكر في الوطن العربي، فارضا نفسه وقوانينه، مستلهما المعطيات الاجتماعية الجديدة وناهلا من التجليات الإنسانية العظيمة للعصر[١٧].

إن حركة الحداثة أو القصيدة الجديدة في الشعر، في المملكة العربية السعودية بدأت - بحسب رأي البازعي - مع ظهور أول مجموعة من شعر التفعيلة وهي بعنوان (رسوم على الحائط)١٩٧٧م للشاعر سعد الحميدين، وقد تلتها مجموعة أخرى للشاعر أحمد الصالح بعنوان (عندما يسقط العراف) وبعد هذين الشاعرين بدأ مجموعة من الشعراء باقتحام الساحة المحلية كان ذلك في نهاية التسعينيات ومن هؤلاء علي الدميني جار الله الحميد محمد الثبيتي، عبد الله الصيخان، محمد جبر الحربي، عبد العزيز العجلان، فوزية أبو خالد[١٨] وغيرهم. مع الإشارة إلى أن وجهات نظر النقاد مختلفة في من هو مؤسس الحداثة في المملكة، فبعض الباحثين يرى أن محمد العلي هو المؤسس للحداثة الشعرية في تلك الحقبة، ويتفق معه جاسم الصحيح في هذا الرأي.

ثالثا: حياة الشاعر ومنجزه الأدبي:

هو جاسم محمد بن أحمد الصحيح بتشديد الياء شاعر سعودي من مدينة الأحساء ولد في قرية الجفرمنها، في المنطقة الشرقية من المملكة عام ١٣٨٤هـ الموافق ١٩٦٤م[١٩]. انحدر من عائلة ريفية تمتهن الفلاحة ولأنه من الأحساء جدا جدا فقد احتلته الحقول من النخاع إلى النخاع، ليكتشف أن الفلاحة هي فصيلة دمه منذ الطفولة)[٢٠]، عمل في شركة أرامكو السعودية ولم يكن عمره يتجاوز الخامسة عشرة (ولأنه من الأحساء جدا أيضا، الأحساء التي تسبح على مجرة سوداء من النفط فقد كان من الطبيعي أن يسقط مبكرا من

حضن المدرسة إلى حضن شركة أرامكو السعودية)[٢١] أرسلته الشركة إلى مدينة بورتلاند بولاية أوريغون) في أمريكا عبر بعثة دراسية عام ١٩٨٦م، ليعود منها بشهادة البكالوريوس في الهندسة الميكانيكية، ويعمل مهندساً ميكانيكيا في الشركة الأم (أرامكو)[٢٢] ، ولم ينس جاسم - في بعثته - أن يأخذ برفقته مجموعة من دواوين الشعراء، كالمتنبي وأبي نواس، وأبي تمام وغيرهم، فهناك بدأ كتابة أولى محاولاته الشعرية مفيداً من بعض توجيهات المهتمين بالشعر في الولاية التي كان يدرس بها[٢٣].

يقول جاسم وقد بدأت باصطياد أولى غزلان الكتابة في الحرم الجامعي بمدينة (بورتلاند) الأمريكية عام ١٤٠٨هـ، وكان غزالي الأول رشا نحيلا لم يتجاوز العشرة أبيات من الشعر)[٢٤] . كان جاسم الصحيح صاحب موهبة وطاقة شعرية منذ الصغر، حيث بدأ بحفظ القصائد الشعبية منذ طفولته، وكان يقرؤها كاملة لافتا أنظار الناس إليه، ثم حفظ الشعر الفصيح للمتنبي والكميت وابن أبي الحديد)[٢٥]، إلا أن الخطيب الحسيني في العزاء العاشورائي هو من فجر هذه الطاقة إذ لم يكن بوسع جاسم أن يمنعها من الانفجار وهو يصغي إلى الخطيب الحسيني، يردد أبيات الشاعر السيد حيدر الحلي واصفا الإمام الحسين (ع) في كربلاء[٢٦] ، بقوله[٢٧]:

فإما يرى مذعنا أو تموت
نفس أبى العز إذعانها
فقال لها اعتصمي بالإباء
فنفس الأبي ومازانها
إذا لم تجد غير لبس الهوان
فبالموت تنزع جثمانها
ولما قضى للعلى حقها
وشيد بالسيف بنيانها
ترجل للموت عن سابق
له أخلت الحرب ميدانها
فما أجلت الحرب عن مثله
صريعا يجبن شجعانها

ولذا فإن بداية الصحيح على الساحة الأدبية كانت عبر الاحتفالات والمناسبات الدينية والاجتماعية وعن طريقها وصل للناس وبها عرفوه[٢٨]،

إلا أنه يقرر أن يتجاوز وصفه(شاعر مناسبات)فحسب وأن يتوجه إلى الانفتاح على الحياة بأكملها،فكان انفتاحه على الإنسان في جميع الجوانب وقد استلزم ذلك منه - كغيره من الشعراء المثقفين، بوصفه يقصد في قصائده الوعي الشعري - تنقيبا في بطون الكتب بحثا عن أقنعة ورموز تتناسب وتجاربه المعاصرة، ومعايشة واقع الإنسان المعاصر على كل الأصعدة والاقتراب أكثر من همومه الفكرية والدينية والسياسية والاجتماعية التي تثقل كاهله.

٢ - أعماله الشعرية

له أعمال شعرية كثيرة، أبرز ما طبع منها:

١- حمائم تكنس العتمة الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٢- اولمبياد الجسد الطبعة الأولى٢٠٠١م.

٣- رقصة عرفانية الطبعة الثانية ٢٠٠٣م.

٤- ظلي خليفتي عليكم الطبعة الثانية ٢٠٠٣م.

٥- نحيب الأبجدية الطبعة الأولى٢٠٠٣م.

٦- أعشاش الملائكة الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

٧- ما وراء حنجرة المغني الطبعة الأولى٢٠١٠م.

٨- وألناله القصيد الطبعة الأولى٢٠١٢م.

نشرت قصائده في العديد من وسائل الإعلام المحلية والعربية وشارك في المسابقات الشعرية، وحصل على كثير من الجوائز[٢٩]

المحور الأول: (استذكار الأمجاد الإسلامية ورموزها والاحتفاء بها)

إن تتبع قصائد الشاعر السعودي جاسم الصحيح يقودنا لنتيجة مفادها أنها تتغير بمرور الزمن وأن قاموسه الشعري يتأثر بالتغيرات السياسية الحاصلة.

ومن نماذج الحس المقاوم في الخطاب الشعري السعودي استدعاء الشاعر جاسم الصحيّح رمزًا من رموز المقاومة المعاصرة في عالمنا العربي الذي عُد أكثر الشخصيات التي قامت بدور الزعامة في مواجهة إسرائيل ومن الشخصيات القليلة التي كانت تحسب لتهديداته ووعوده ألف حساب[٣٠] وهو السيد (حسن نصر الله) الذي بدأ أمينا

عاما لحزب الله اللبناني عام ١٩٩٢ بعد أن اغتالت إسرائيل أمينه العام السيد (عباس الموسوي) ودخول الحزب في هذه السنة المعترك السياسي عبر المشاركة في الانتخابات النيابية.

لقد لفتت حركة المقاومة الإسلامية اللبنانية وقائدها المجاهد حسن نصر الله(رحمه الله) انتباه الأدباء فخصوها بنماذج جميلة من الشعر[٣١] ولعل ما قاله الصحيّح في قصيدة(الفارس والصهيل المكسر)يعد من أجملها وقد قال في إهدائها:(إلى أمير المجاهدين وسيد المقاومين السيد حسن نصر الله حفظته العناية الإلهية)()حيث استثمر الشاعر تغنيه برمز المقاومة السيد حسن نصر الله رحمه الله في قصيدته(الفارس والصهيل المكسر)بوصفه محور المحتوى العلامي فيها ليصل عن طريقه إلى استذكار رمزالفداء والتضحية الإسلامي الأول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ليقول في مطلعها[٣٢]:

أراك فأسمو في قداسة ما أرى
كأن الليالي جددت فيك حيدرا
كأن الليالي في صدى عنفوانها
أرادت لذاك الوتر أن يتكررا
فألقتك في أتون دنياه خامة
وصاغتك من أسمى معانيه جوهرا
وخطت لك المضمار عبر جراحه
لتجري على سيف المنايا كما جرى
وبينكما التاريخ نهر مدلل
أسالته أعناق المحبين أحمرا
وشدتكما شريان عشق تدفقت
دماء الأضاحي في أقاصيه محشرا
فكل خلاص في الحياة قيامة
تهز الثرى الغافي فيستيقظ الثرى

فقد بدا الشاعر عبر استذكاره لهذه الشخصية الإسلامية العظيمة متعطشا لرمز حقيقي يذكّر بجهاد (علي بن أبي طالب عليه السلام) في مواجهة اليهود في خيبر مفيدا في صورته الشعرية السابقة مما لحسن نصر الله من نسب شريف يتصل بأمير المؤمنين الذي قاتل الطغاة وجندل سيفه ذو الفقار الأبطال ولا سيما في يوم خيبر ضاحكا مستبشراغير عابئ بتطاير الأيدي والرؤوس ف(هو البكاء في المحراب ليلا،هو الضحاك إذا اشتد

الضراب[٣٣] هذا التعطش الذي من شأنه أن يثير الحسرة في النفس العربية التي كانت شجاعتها تقوم على مبدأ الاختيار الحر بين كفتي الميزان المتأرجحتين مفيدا باستدعاء أهم رمز مقاوم في تاريخ الإسلام استيحاء دلالات معينة تتعلق بروح النص،تصور واقع الأمة المقلوب وحال إنسانها المغلوب والمندفع أبدا نحو الهاوية مستحضرا اسم (دبشة) البلدة اللبنانية التي كانت موقعا للاحتلال الإسرائيلي وبمثابة القابضة على أنفاس الناس هناك،حيث استطاع المقاومون تحريرها في أيار عام ٢٠٠٠م لتكون معادلا مكانيا لخيبر:

سلاما أبا (الهادي)[٣٤] على قلبك الذي
تناثر في الوادي طيورا وأنهرا
سلاما على السن الضحوك إذا اختفت
وراء التحدي تشعل الحرف مجمرا
سلاما على رؤياك في كل فكرة
دحوت بها في (دبشةٍ) باب خيبرا

المضمون الثاني (فضح التآمر العربي"العروبة المزيفة")

لقد أحدثت سياسة حسن نصر الله في اختيار مبدأ مقاومة الاحتلال الإسرائيلي انقساما في آراء السياسيين والحكام العرب بين قليل مؤيد وكثيررافض بل معاد، ليكون الشخصية التي فضحت القوم وأسقطت أقنعتهم،والشاعر في نصه هذا يعبرعن عدم جدوى معاداتهم مادام يدافع عن الحق المسلوب(فلسطين)الذي تعاموا عنه، ومدى تأثير صفات نصر الله القيادية في قواعد وصفوف عريضة من أوساط الشعوب العربية رغم وقوف حكامها بوجهه ومعاداتهم وتآمرهم عليه، ولاسيما بعد حرب تموز ٢٠٠٦ ومقاومته للمحتل الإسرائيلي:

مؤامرة الأصفار ضدك لم تلد
سوى الصفر يا رقما من الدهر أكبرا
تناسخت في صلب الجماهير هازئا
بمن حسبوا صُلب الجماهير أبترا.
تحرض في الماء الأجنة زارعا
(فلسطين)في الأصلاب عهدا مطهرا

فتنمو بطون الأمهات ببيعة
على العهد..تجنيها سلاحا وعسكرا

فمؤامراتهم تلك لا قيمة لها لأنهم ليسوا سوى مجموعة أصفار لا تساوي في النهاية سوى صفرمستوحيا تلك العبارة من جواب (سعد زغلول) رئيس مجلس النواب المصري في أوائل القرن الماضي عندما سأله أحدهم عن رأيه في الوحدة العربية فاعترض عليهاقائلا: (إنها بلا جدوى لأن إضافة الأصفار إلى بعضها البعض لن يساوي في نهاية الأمر إلا صفرا)[٣٥]

والشاعر يحاول أن يعالج القضايا السياسية من زاوية منطقية مجردة، والتجرد تحكمه الموضوعية البحتة بعد أن أخذ نفسه بالتحرر من التبعية التي تصحب الانتماء ليأتي عشقه لهذا الرمز المقاوم منطلقا من معرفة فحواه لا شكله:

أعيذك مني ..من هوى كل عاشق
يعيشك شكلا لا يعيشك مخبرا
...
أعيذك من (غرناطة) بعد (طارق)
فأمجاده صارت رخاما ومرمرا!
غدا يرصد التاريخ ذكراك شاهرا
يراعته يجلو السؤال المشمرا!
ومن(نصر الله)..هل هو فاتح
أضاف إلى طول المجرة خنصرا؟!
أم البطل الشعبي في قصص الهوى
قديما- بأعماق الغواني تجذرا؟!
...
قفزت على سور الحكايات علّني
أراك طليقا من هواها،محررا
وجئتك بالنخل المقاوم مالئا
مساحة روحي عنفوانا ومفخرا

وهنا الشاعر ومن تسليطه الضوء على الماضي الذي اقترن بالهزائم المتلاحقة يفصل مفتخرا بين أمجاد (السيد حسن نصر الله) في الدفاع عن بلاده وتحريرها من نير إسرائيل وبين تاريخ الأمة في مراحل ضعفها وأفول نجمها عن الأندلس وتخلي المسلمين عنها وتقاعس أنظمة دويلاتها وممالكها في الدفاع عنها ومنها غرناطة، بعد أن فتحها طارق بن زياد، فغدت مجرد ذكرى عقيمة لا تجلب إلا الحسرة على ماضي هذه الأمة التليد، أما حسن نصر الله وأمجاده فسيذكرها

التاريخ بأجل صورة وأحلاها لأنه يمثل سطوع نجم فجأة موحدا جهود فتية آمنوا بالله فزادهم الله هدى في ليل الاستسلام الحالك فهو قرين النصر[٣٦] .

إن عملية استدعاء هذا الرمز المقاوم اسمه أو قوله وسيلة لحمل الرؤى والأفكار والتعبير عن خلجات النفس التي يعيشها الشاعر تجاه موضوعه فهو أداة تصوير كاشفة عن طبيعة التصور ومعادل خارجي لما انطوى في داخله من أحاسيس حب وافتخار بهذا الرمز:

معي قبلات باتساع مجرة
من الشوق..فامنحني جبينك محورا
وفي كل سطر من عروقي جمرة
من الحب فاقرأني جحيما مسطرا
تسمرت للنجوى كأني عاشق
فتيّ لميعاد الهوى قد تسمرا

فقد كان الشعور المر والسأم من ممارسات الحكومات العربية من عملية تخييب الآمال وتزييف الوقائع والأحداث أمام شعوبها وقلب الهزيمة إلى انتصار مكونا من مكونات هذا النص إذ إن مجرد الانتماء إلى الواقع العربي يشكل باعثا للحزن ومدعاة للشعور بالخزي والعار حتى إذا أسفر وجه السيد حسن نصر الله على هذه الأمة أشرق صباحها وأبدل ظلامها نورا[٣٧] :

أحدّق في التقويم والحزن شاخص
على كل يوم صار عيدا مزورا
تزاحمت الأعياد في عمر أمة
هي الحزن.. بل أشقى من الحزن عنصرا
ألم ترها منقوعة في دمائها
قرونا.. ألم تمطر عليها التحسرا
...
ذرعت المدى(خمسين)عاما ولم أجد
صباحا على أفق العروبة نورا
قطار من الضحكات يجتاح قامتي
حزينا إذا الدوري بالصبح بشرا
لماذا أذان الفجر يعلو.. أما استحى
المؤذن أن يعلي أذانا مزورا
يغلف أيامي ظلام عروبتي
إذا ما ظلام الليل عني تقشرا
أنا لم أصل الفجر حتى رأيته
على أمتي من وجهك السمح أسفرا

ولا يخفى مقدار تمكن الشاعر من أدوات فنه ومقدرته على توظيف

إحساسه في الموازنة بين ما كان من أوضاع الأمة من تردٍّ وانهيار، وما أصبح عليه الأمر بعد انطلاق انتفاضة الجنوب بقيادة السيد حسن نصر الله، وكأنه يزغرد لبشائر النصر التي لاحت في سماء العروبة()

فقد كان نجاح الشاعر في رسم صورة الواقع المخزي الذي مر على المجتمعات العربية يدل على إدراك ابداعي وطريقة في التصور الشعري يفتح آفاقا واسعة لخطابه الشعري وينفتح على عوالم جديدة ورمزية عالية تحكي هموما وطنية وقومية ليس نصيبها بقليل في شعره بل قد لا تخلو قصيدة من قصائده في بعض مجموعاته الشعرية من لمحة في هذا الاتجاه حتى أصبحت العروبة التي كانت يوما مدعاة للفخر، مدعاة للخجل والسخرية في نظر الشاعر.

وربما ثمة من يرى جانبا سلبيا في عودة الشعراء الى استلهام البطولات القديمة وهو أن حاضر أمته لا ينهض الى مستوى ماضيها العريق وانه يلجا الى الماضي كلما ضاق ذرعا بما يشهد في بلاده من تفرق الكلمة كما في شكوى الشاعر من ذلك في قوله:

هذي قوادمنا بتراء أثخنها
سهم الشقاق بجرح غير ملتئم
ياأمتي..لم٩ يخل أجدادنا ابدا
أن نغتدي بعدهم سخرية الأمم؟
هل صاغنا الله من مستنقع قذر
وصاغ أجدادنا من كوثر شبم!
أم أنه الدهر أوطار.. ولا عجب
في الدهر من ذلة العملاق للقزم!؟

والصحيح في هذا المنحى غير معني بالدعوات القومية في احتضانه تاريخ أمته المجاهد، فهو ينظر الى الماضي الإسلامي العريق نظرة إنسانية مجردة تتوق الى عودته عله يعيد معها الكرامة المفقودة متخذا الى ذلك سبيل المقارنة والنقد اللاذع لواقع الامة المعاصر.

أما من الناحية الفنية فقد يرى عدد من المتلقين ان تجليات المقاومة تلك ممعنة في المباشرة، على الرغم من أن(المباشرة في بعض المواطن ليست عيبا، فحرارة الفكرة هنا لا تستلزم تصويرا متكلفا)[٣٨] فشعر المقاومة واستنهاض

الهمم لا يقتضي في الحقيقة ذلك التكلف، لأن واقعنا لا يحتمل الرمز وقضايانا وموتنا وتخلفنا واضح ولذا ينبغي أن نواجه الأمور كما هي من دون رموز ورتوش بمثل هذا أجاب نزار قباني حينما سئل عن مباشرته في بعض قصائده قائلا:(التشويهات الكبرى الجارية في مجتمعنا العربي وهذا الصمت الرهيب بالنسبة للشارع العربي هو ما يهزني، هذا هو الواقع...أنا من كثرة حبي لوطني لم أستطع أن أقف صامتا أما هذه الغيبوبة التي غرق فيها الشعب العربي، العمل الأدبي اليوم يحتاج إلى شجاعة الموقف وشجاعة الموقف ليس عن طريق الرموز والأساطير)[٣٩] وهذا هو لسان حال جاسم الصحيح.

محمد الدرة

أفاد الشاعر جاسم الصحيّح من بعض الشخصيات والرموز التي أخذت مساحة واسعة في عالم ينتمي إلى حقل الأدب المقاوم أكثر من أي حقل آخر،أفاد منها في ترسيخ رؤى ومواقف معينة في محيطه السياسي، ومن هذه الرموز شخصية الشهيد الطفل الفلسطيني (محمد الدرة) في نصه (الانتفاضة قبلتنا والإمام الحجر)[٤٠] عالج فيه مأساة هذا الطفل الشهيد وانطلق منها للحديث عن مأساة الشعب الفلسطيني ونكبة الأمة العربية والإسلامية وضياع القيم الإنسانية في عالم صارت أبرز صفاته الوحشية.

والظاهر انتماء هذا النص إلى ما يسمى ب(شعر الحجارة) الذي حرص شعراء كثر على أن يضمنوا قصائدهم نصا منه وكأنه ورقة اعتراف يريد أن يبرزَ انتماءه إليه.

على أن أكثر هذا الشعر يتميز بالمنبرية والتسجيلية والمباشرة والشعاراتية والحماس المنفعل مما يجعله ضعيفا يتداخل فيه السياسي بالفني قسرا[٤١] .

إلا أن الصحيّح يقدم هذا الشعر بشكل مختلف على اعتبار أن استشهاد هذا الطفل كان بمثابة شرارة أيقظت الضمائر النائمة وبعثت النبض في القلوب الخامدة لتبدأ المقاومة وتجري في عروق أطفال العرب همة ملتهبة فتحت عقولهم لوعي جديد تصاعد حينها في هتافهم بعد

الحادثة (خيبر – خيبر يا يهود – جيش محمد سوف يعود) فالشاعر هنا ينزف معاناة فلسطين في كلمات تعانقت وتعالقت مع هذا الوعي فعالجها بأسلوب قصصي أو حكائي على لسان أطفاله بشكل مناجاة قائلا[٤٢]:

يحدثني عنك أطفالي الحالمون
يقولون:
كان محمد هذا الصباح شعارا على حائط الفصل ..
فافتض عنه الإطار وهرول خارج صورته
...
حرّض أوراقنا أن تثورَ
وأقلامنا أن تطيرَ ..
وكان يحاول ثقبا بتاريخنا الهش
فاستل (خيبر) من سجنها المنهجي
كان يفض بها
ما تبطن أيامنا من ظلام وتاريخنا من كذب
يحدثني عنك أطفالي الحالمون:
يقولون:
كان (محمد) ينساب في جبة من هديل
...
يحدثني عنك أطفالي الحالمون..
(محمد) ما مات
لكنه في مناورة توهم الموت
...
حينما عانقته الرصاصة
كانت عيون الحضارة تسبح في دمعها التكنولوجي..
أفرغ كامل ضحكته داخل الموت
لكنه لم يمت..

في إشارة إلى مسعى الغرب إلى جعل الآلة فوق إنسانية الإنسان وليس تحت إرادة الإنسان، فسمات العالم التكنلوجي العنف والتقاتل من أجل السلطة.

ويعود فيواصل ممارسة استنكاره لمواقف العرب المثقلين بهموم احتكار السلطة، فبعض أنظمة العروبة التي حكمت بالشعار القومي أهانت الشعار وحقوقه، غارقة ومغرقة قضية (فلسطين) وشهدائها في: النسيان وسط صمت رهيب يقول[٤٣] :

جاءني.. والعروبة ما بين أضلاعه تنتحب
وأهدى إلى العربي المكبل في جثتي وردة

من عتب:

لماذا تظل (الشهادة) نائمة في الكتب؟

لماذا تطير اليمامة أقصر من خوذة العسكري

هنا في فضاء العرب؟

أترى قامة الكبر أرفع من قامة الكبرياء!

وهكذا فإن نص الشاعر يحتشد بعدة صور شعرية لافتة تنقل الرؤية بصورة تجعل من عمله نصاً متميزا من حيث تفاعله فنياً مع كثير من مصطلحات المقاومة أفاد منها في استيحاء دلالات معينة ترتبط بالجو العام للنص مثل (الصواريخ - المجسات - المدفعية - البارود - الحصار- الانتفاضة - مؤتمر- قمة) وغيرها، ومن ثم سعة المساحة التي تغطيها من هيكل النص اللفظي وبنيته الدلالية الكبرى، إذ يشكل الهيكل المفصلي العلامي أو محور المحتوى وليس عوامل مساعدة تشكل عناصر جزئية تكون الدلالة عبر اجتماعها مع غيرها.

فهو يحاول عن طريق الحديث عن هذه الرموز التركيز على أمور تعد هي حجر الزاوية في هذا النص الطويل كسلبية التعامل مع القضية الفلسطينية، رغم ارتقاء العالم في سلم الحضارة والتكنلوجيا وهذا ما يحكي تصوره في قوله:

حينما عائقته الرصاصة

كانت عيون الحضارة تسبح في دمعها التكنلوجي...

والتأكيد عبر استدعاء قصة مقتل (محمد الدرة) للتدليل على عجز العرب من فعل شيء يخدم أبناء فلسطين التي ضاعت وسط قرارات السلطات الحاكمة المنشقة على ذاتها خارج إرادة شعبها المشرد في المخيمات والمنبوذ في ديار اللجوء، والذي يعامله بعض أهل النظام العربي بامتهان يزيد قسوة على معاملة العدو المحتل، بوصف (المخيم) بدلالته الواقعية والرمزية الخصبة مرجعية نضالية واجتماعية تؤشر الطريق كبوصلة، لاأن يبقى محافظاً على وظيفته التاريخية بوصفه ملجأ بعد أن ضاق الوطن بابنه:

رمادية أفقنا يا (محمد)

منذ صحونا على نجمتين تفحمنا ملء عينيك...

فانظر لنخوتنا تتقيأ امعاءها
واسقنا جرعة من رحيق الشهامة...
صبرنا على جرف هاوية لا تهادن...
إما العبور الكريم
وإما الثبور اللتيم...
لك الله يا بن المخيم
كيف كتبت امتحان السموات للأرض!
...
فاعطف على أمةٍ توضع الآن فوق المحك الصقيل...
لقد ضاق جوهرها بالخدوش

لقد استطاع الصحيح أن يحتفي بانتفاضة الحجارة ومحمد الدرة وأن يتعامل معهما فنياً، منجزا نصاً مغايراً في رؤاه وأسلوبه واستخدامه للغة بشكل يخالف السائد الذي استوحى هذه اللحظة، لكنه جاء بنمطية مترهلة بتقريريتها الخطابية التي عادة ما تثقل الأعمال الشعرية من هذا النوع رغم طول نصه الذي بلغ مئتين واربعة وثلاثين سطرا موزعة على اثنتي عشرة صفحة شفّت عن رهافة الحدس السياسي المقاوم بشكل لا يمكن لقارئ تجاوزه دون تأمل واندهاش في صيغة درامية جميلة، وبعبارة أخرى فإن الخطاب المقاوم لم يضعف الجانب الفني في القصيدة بل زاده عمقاً وأصالة وضاعف في التوصيل والتأثير.

ولكن ثمة تعالق ظاهر بين صور النص الشعرية والصور الحية التي عرضتها تقنية التلفاز الذي يعد مصدراً مهما يلقي بتأثيره على صناعة العمل الإبداعي المعاصر عبر استفزازها للإبداع أو إسهامها في كونها مدارًا ومحورًا لكثير من الصور التي ينسجها الشاعر[٤٤]:

حينما انحدرت قاذفات (يهوذا) على عربات الأساطير
سدت على روحه الحقل بالطلقات الجبانة
ظنا بأن الحصار يحجّم جغرافيا الروح..
...
(محمد) شدّ على موته بالنواجذ
ثم اشراب قتيلا
يجر جنازته باتساع التضاريس

فلم تعد الصور الشعرية المعاصرة في التجارب الحديثة تقف عند حدود القواعد البلاغية القديمة، بل اتسعت حتى غدت الصورة الواحدة

مشهدا يستوعب عدة أطراف وعلاقات وأنواع من العلاقات الجزئية[٤٥] فقد تطورت الصور الشعرية المعاصرة بفعل عوامل تتصل بالشاعر والنص والمجتمع ولعل أهمها عامل التقنية (التلفاز - الصورالفوتوغرافية - أشرطة السينما) التي صار لها أبلغ الأثر في استثارة الشاعر .. كمشاهد القصف والانفجارات أوالعمليات الاستشهادية، أو صور الخراب الذي يخلفه الاحتلال في المدن والتعذيب الوحشي للمعتقلين في سجون السلطات الظالمة. ولعل في قوله[٤٦]:

وتفجؤه طلقة الغدر...
يهوي (محمد) من صلبه...
تتكوم أشلاؤه وطفولته (قمة)
في حضيض الزعامة يصعدها (المؤتمر)
(محمد) إضبارة فتحت جرحها للحوار...
وتلك المذيعة تتلو العبارة مارقة مثل أفعى
وتلدغنا بالخبر

ففي السطرين الأخيرين خير دليل على تلوين الصورة الشعرية بعناصر التقنية الحديثة كالتلفاز.وقد يبدو التفاعل واضحاً مع الصورة التي ظهرت في التلفاز عبر استخدام الألوان، إذ إن النص احتوى عدة ألوان، إلا أن اللونين الطاغيين عليه هما (الأبيض والأزرق) إلى جانب الأحمر لون الدم الذي يُشكل المغزى الدلالي الذي رمى الشاعر لاحتوائه، فاللونان البارزان في المشهد التقني كانا (الأزرق والأبيض) رداء كل من الطفل محمد وأبيه جمال الدرة، وما ينبثق من تداعيات الصورة (الأحمر) لون الدم وما يستعقبه من كفن أبيض بلون الطفولة البريئة الصافية. انظر قوله:

أشرق مشتعلا في بياض الطفولة
ثم انثنينا نجرد عنه البياض
لنلبسه كفنا من أهازيج حمراء
(محمد) جرح على خد تفاحة
لم يزل دمها عالقاً بالرصيف
يطرز اسفلتها بالذهب
وأعداؤك الآن
تنقصهم لفتة الله للمتعبين
وإيماءة الغيب للعاشقين..
وتنقصهم نشوة بالأثير تقود إلى آخر الازرقاق

آيات الأخرس وعلي الأشمر

أهدى جاسم الصحيح قصيدته (مناجاة باتساع الوادي)[٤٧] و (مهرة من ساحة اليرموك)[٤٨] إلى الاستشهاديين، آيات وعلي مولياً لفظة (الاستشهادي) اهتماماً خاصاً، بوصفها إفرازا لواقع حياة النضال والمقاومة العربية ولاسيما في لبنان وفلسطين كردود فعل طبيعية تجاه الاحتلال الإسرائيلي، وحلول بدت عندهم هي الناجعة في استرداد الحرية المسلوبة.

النص الأول قدم له بقوله:(إلى روح الاستشهادي البطل علي منيف أشمر .. (قمر الاستشهاديين) في الجنوب اللبناني.. كان هذا الشاب شيخ طريقة) ابتكرها للعاشقين الولهين للحرية المطلقة وذلك عندما تحول إلى مخزن من البارود وانفجر راجلا في رتل من الجنود الإسرائيليين). أما النص الثاني فقدم له قائلا:(إلى الاستشهادية الفلسطينية ذات الستة عشر ربيعاً (آيات الأخرس).. الفتاة / الثورة .. رحمها الله تعالى).

يقرر الشاعر في نصيه هذين أن يستعين برموز لها قداستها الدينية في تشكيل رؤيته والتعبير عن تجربته وانفعاله، كي يلون بها تجربته الشعورية، فهذه الرموز هي التي منحت الدلالات المعاصرة أبعادها المقصودة كقوله في النص الأول مستحضرا شخصية الإمام علي (عليه السلام)و (خيبر) بوصفها رموزًا لها دلالاتها التاريخية والإيحائية[٤٩]

من بعيد جاء..
لا أعلم من أين ولكن من بعيد..
ربما من طعنة في جسد التاريخ
يوم التحم الجيشان في (خيبر)
فانسل الفتى من فجوة الطعنة
كي يختصر التاريخ في جرح.
...
أتى يحمل في أضلاعه كوخاً من الإيمان
معمورا بحب الله والأرض
وطفل ضاقت الأسماء عن إيمانه إلا (عليا)..
حمل الاسم لواء خافقا بالقدس
ممتدا من الثورة حتى الموت
جيلا جبليا.

لقد كان التوظيف في النص

السابق المقتطع مركزا وشاملاً بحيث وعى كل المواقف وأدرك خفايا الرمز مما أمكنه من توسيع دلالته وتفكيكها تفكيكا منح النص قيماً وأبعاداً جديدة، كما كان استحضاره لشخصية الإمام الحسين (عليه السلام) و (معركة كربلاء) لتعميق الإحساس بالمأساة وغرسها في النفس العربية، وفي الضمير البشري كله عبر التناص الرمزي لقصة رفض الإمام الحسين للظلم، متجاوزا المادة التاريخية ومشكلا فضاء خاصاً انعتقت فيه الدلالات وفجرت فيه الطاقات الإيحائية.

نبتت في فمه (اللاءات) أنياباً
ورباها بما أورثه الأجداد من رفض قديم
لم تزل (لاءاته) تكبر في الرفض فصارت بندقيات
وما زال (علي) حالما يركض خلف الشمس
...
كي يقطف أزهار الصعود الوعر
من أعلى الزمان الكربلائي
علي عصّب الجبهة بالتاريخ)

فالاستشهادي علي الأشمر ورث رفضه للاحتلال هذا، من رفض قديم هو رفض الإمام الحسين (ع) للظلم والطغيان، ووقوفه يوم الطف مضحيا بنفسه، ليكون يوم الطف / أعلى الزمان الكربلائي، هو المنهل الذي نهل منه والطريق الذي سار عليه. إلا أن الشاعر لم يذكر اسم المعركة أو تفاصيل هذه القصة الجهادية، بل لجأ إلى رمز يوحي إليها، وبالتالي لم يذكر اسم الحسين (ع) وإنما ذكر عصبة جبهة الاستشهادي التي كتب عليها اسم الحسين (ع) صانع التاريخ.

أما في النص الثاني فقد كان التعالق القرآني فيه من أبرز أدوات الحفر، للتعبير عن حسه المقاوم ويبدو أن الشاعر وجد أنها أجدى الأدوات وأنفعها، وذلك تمشيا مع جذور الأرض المقدسة وملاءمة مع طبيعة القضية وخصوصيتها، وإن لجوء الشاعر إلى هذا النوع من التمثيل الرمزي يمثل ضرورة جمالية ومواكبة لطبيعة العصر وروحه، فقد وجد الشعراء في قصص الأنبياء والأوصياء ما يوافق تجاربهم ويكشف ملامح المعاناة فيها، إذ

إن مأساة العربي في هذا العصر لا تختلف في حقيقتها عن معاناة الأنبياء وجراحهم الذين كذبوا وأبعدوا وظلموا، كما في استحضاره لقصة العذراء[٥٠] :

هذه لحظة الوحي دنت
والأنبياء انتظروا (الآيات)
فيما (مريم) العذراء كانت بانتظار (التمر)
في (المحراب)
كان الصحف الأولى تجلت دفعة واحدة
واكتمل التنزيل..
ها قد حصحص الفجر فكل الليل باطل
!!
من هنا يا أخت هارون
خذي تمرة محرابك..
هذه نخلة الله
وهذا تمرها تمر إلهي الشمائل !!

ثم يستحضر شخصية النبي (نوح) بوصفه المنقذ لأمته من الهلاك، فاستخدام الشاعر لرموز معينة عبر التناص معها، يلقي أضواء كاشفة على جوانب من التجربة الإنسانية، بما لها من قدرة تلقائية حية على أن تجعل المضمون دالاً، وهو يسعى عن طريق التوظيف الرمزي إلى إحداث الأثر الشعري وإشراك القارئ في تجاربه، فهذا التوظيف والتفاعل مع هذه الرموز يدخل القارئ في عوالم لا حدود لها ويدفعه إلى الغوص في مضمون النص، كما في قوله:

كنت أعلنت لنا عن موعد (الطوفان)
بالأمس
وجمالك أهدى أول الألواح
كي تصطنع (الفلك)
ولكن لم يجيء (نوح)...
هنا في الأمة الغرقى
مسوح لبست هيئة (نوح)
فاستحال الدم نقطا ...
والشعارات أصيبت في المقابل
من (جنين) ابتدأ (الطوفان) في السر
ولا يعلم إلا الله
كيف ابتدأ الطوفان في السر!
وماذا كان يحتد سوى لحمك في (التنور)
حتى (فار) غضبان!!

ولو دققنا النظر في المناخ العام للنص لرأينا أن الشاعر يتبع خطى الرمزيين الذين يرغبون في استعمال القوة الإيحائية للكلمات عبر تحريك

ذهن القارئ، وذلك بمجرد الإيماء إلى معادلات الرموز وما يوافقها في التجربة

زمن الإنتاج، ليغدو

أول الألواح = آيات

الفلك = التحرير

الأمة الغرقى =العرب

المسوخ = حكامهم

الدم = النفط

نوح = القائد الذي لم يأت بعدكي يوعد أمته وينقذها

وهكذا، فالنص عبارة عن نسيج من الملصقات والتطعيمات)[٥١] كما يقول جيرار جينيت وكتابات مضاعفة نتيجة لثقافات متنوعة تدخل كلها بعضها مع بعض في حوار، مصطفة مع الألفاظ التي تمخضت من السياسة كقوله[٥٢]

وأحالت من دوي الجسد الهادر

لحنا واحدا

وزعة الحب تقاسيم على كل (الفصائل)

وإذا ما وقفنا على كلا النصين وجدناهما يتقاطعان في أمور منها:

١) غرابة النموذج، فمثل هذين الاستشهادين يعدان نادري الوجود في زمان وأمة كالتي هما فيها. ففي النص الأول يقول:

ولكن من زمان خارج العصر

فهذا الوهج الروحي

لا يمكن أن ينجبه عصر من الفولاذ...

هذه الوردة الزهراء

لا يمكن أن تولد - مهما حاولت -

من أمة في موسم الزقوم...

وفي النص الثاني يقول:

وانتهت في أمة

يبكي بها التين على أغصانه والورد ثاكل

أين تؤوي حلمها

غربة تزحف في الأشياء كالأفعى

وقهر هائج يهوي على الروح كأسنان المفاصل

نقبت كل التضاريس على خارطة الكون

على تلك الهياكل.

٢- الجرأة، فالقيام بهذا العمل يتطلب جرأة فائقة، صورها في قوله من الأول:

غرق المشهد في النشوة

حين اختلطت رائحة الليمون

بالبارود

بالأشياء

بالجرأة

...

فارتبك المطلق إعجاباً بهذي الحالة البكر...

ومن الثاني قوله:

أي أنثى طلعت في موسم الثورة كي
تكنس من واحته كل الرجولات / المزابل
صدق الموت لها
مما رأى من روعة الجرأة
واهتزت من الإعجاب روح الأرض.

٣ - التخاذل العربي، فالنصان يكشفان عن حال العربي الذي يتوق للحرية من جهة، وكذلك تضاؤل الروحيات الصادقة أمام الماديات الكاذبة في داخله، حيث يطلق الشاعر زفرته قائلا:

أه!
يا ليتك وزعت على الأمة إيمانك
كي يكتمل الجوهر في قاع الضمائر

أما في الثاني فيبدو عمق الدلالة قد أكسب التجربة غنى وخصوبة وجعل الإحساس بالمأساة أعمق وأقرب، فإذا كان الاستشهادي على الأشمر قد زفت إليه بشائر التحرير وهو في الملكوت الأعلى

وفي الخامس والعشرين من آيار
شف الغيب
والتمت شظاياك (جنوب)) عائدا يرفل في التحرير...

فإن آيات الأخرس لم تر حلمها يتحقق، مما يحز في النفس ويعمق الإحساس بالمرارة لتآمر الخونة وفقدان الناصر، وغياب القائد:

أي وعي ثائر هب كما الريح
لكي يُطفئ إشراقة تفاح الخيانات
ببستان المهازل
أراني قامة من خجل في حضرة الصمت -
اعذريني في انتماء مسة العقم

لتدخل هنا ذات الشاعر على الخط نفسه خط المعاناة والمأساة، فتنتقي ما يوافق الموقف ويكشف الرؤى، لذلك كانت الصورة في مجملها مثيرة مؤثرة مشحونة بالعمق والإيحاء، انظر قوله:

كلانا يأكل الحنظل من فاكهة القربى
وزقوم العروبات علينا يتناسل
طاش بي لبي..

أهذي أمة أم كتلة من عدم أخرس ؟؟
ما أكبر هذا العدم الأخرس ما أكبر هذا
الخرس المعدم
صار القلب مما قرح الحزن به نبع دمامل.

فالشاعر عبر هذا المقطع خصوصاً من النص يستثير العزائم ويستنهض العمي الصم، ويحرك الركود عبر تبني الموقف الهازئ بهذا الانتماء الذي يتحمل أوزارا كثيرة على نحو ما هو معروف من أن ظلم ذوي القربى أشد وأنكا فهو يكشف عن رغبة هؤلاء القربى سواء أكانوا أنظمة حاكمة، أم سلطات منشقة على ذاتها إلى فصائل تدعي كل منها حفظها فلسطين، خصوصاً أنها أقيمت خارج إرادة شعوبها، يكشف عن رغبتهم في غسل اليدين من القضية...

وربما لفت هجاء الشاعر الدائم للعرب القارئ كما لفت الباحثة، وهذا ما يذكرنا بمجموعات نزار قباني الشعرية (قصائد مغضوب عليها) و(أنا يا صديقة متعب بعروبتي) وهجومه على النفط وإن كان لا يشبه هجوم نزار قباني الذي يبدو أكثر جرأة وأقل مراعاة للثوابت الاجتماعية العربية كقوله[٥٣]:

هذا السائل المنوي، لا القومي، لا العربي،
لا الشعبي هذا الأرنب المهزوم.

وهكذا فإن الشاعر العربي في منجزه الحداثي صار يتحمل مسؤولية كبيرة - بنظر مريديه - للتعبير عن مآسي عصره، وعن ظروف القهر السياسي وما يظهر به من أشكال القهر الاجتماعي والديني في بعض الأحيان، التي يرزح تحتها شعبه، بخاصة حينما تكون تلك الشعوب المقهورة تحيا وسط ركام عسير من التسلط والاحتلال، ولا يكون فيها النفط أو أي ثروة أخرى لها نصيب في رفع القهر والحيف عنها، بل العكس هو الصحيح، وهنا يبرز دور الشاعر في التعبير عن تلك الهموم، وإلا فإن انكماش الشاعر في أوقات الخطر أشد جرماً من الجندي الهارب في ليلة المعركة[٥٤].

الخاتمة

ظل الشعر العربي وسيلة حيوية للمقاومة يجسد الألم ويحفز الأمل رغم

تغير الأشكال تبقى غايته واحدة:تحرير الإنسان من القيود سواء كانت احتلالا خارجيا أم استبدادا داخليا.

إن شعر المقاومة ركن عظيم من أركان الأدب العربي الحديث،ومن أوسع الأبواب الشعرية التي يدور الشعراء في رحابها،فالشاعر المقاوم عليه أن يصنع مصيره بيده ويكون داعيا إلى التحرر والاستقلال وملتزما بقضايا شعبه.

وإذا أنعمنا النظر في شعر الشاعر الأحسائي جاسم الصحيح وجدنا أن معاني المقاومة تتجلى في شعره بقوة، شديد الإيمان بحرية أبناء قومه مقاوما للظلم والطغيان،متغنيا بأمجاد القادة الذين رفعوا راية مقاومة المحتل عبر دراسة الظواهر المختلفة للمقاومة في شعره، وأهم الموضوعات المتجلية والمستخلصة من شعر الشاعرفي هذا الصدد:

١.تعزيز الوعي القومي والوطني:شعر المقاومة في قصائد الصحيح أسهم في رفع وعي الشعوب العربية بمخاطر الاحتلال والاستعمار، ونشّط روح الانتماء للأمة والتمسك بالهوية والكرامة الوطنية.

٢.تكريس ثقافة الصمود والتحدي:رسّخ الشعر ثقافة الصمود أمام القهر السياسي والعسكري.

٣.حوّل فكرة المقاومة من عمل مسلح فقط إلى موقف فكري وثقافي أيضًا.

٤. إعادة تشكيل صورة البطل:في شعر المقاومة لم يعد البطل الفارس الكلاسيكي، بل صار إنسانًا عاديًا، عاملًا، فلاّحًا، أمًّا، شهيدًا، طفلًا مقاومًا. هذه الصورة الجديدة قرّبت القصيدة من الناس، وجعلت من المقاومة حالة يومية.

٥. الدمج بين الفني والسياسي:شعر المقاومة عنده استطاع أن يمزج ببراعة بين الجمالي الفني والالتزام السياسي.

٦.لم يكن الشعر تقريريًا فجًا، بل حافظ على صوره البلاغية ومستواه الفني رغم وضوح الرسالة.

٧. تدوين التاريخ الشعبي:كثير من أحداث المقاومة لم تُسجل رسميًا، لكن شعره حفظها، وخلد بطولات الأفراد ودوّن المجازر والهجرات الجماعية شعريًا.

٨. بروز لغة رمزية مشفرة:مع اشتداد القمع، صار شعر المقاومة أكثر رمزية

وابتكارًا، لينقل المعاني بطريقة غير مباشرة كاستخدام الرموز مثل "الزيتون"، "الخبز"، "الشمس"، للدلالة على الأرض والوطن والحرية.

٩. إحياء التراث واستدعاء الرموزالمقدسة: استُخدم التراث العربي والإسلامي كـ(الإمام علي بن أبي طالب، والحسين بن علي وأبي الفضل العباس عليهم السلام وغيرهم) لتأكيد استمرارية النضال والارتباط بالماضي المشرّف.

١٠. حوّل مقاومة الفلسطينيين واللبنانيين إلى رمز إنساني شامل، لا مجرد قضية وطنية محدودة.

١١. يتميّز بقوة رمزية وبلاغة حزينة تمثل روح المقاومة العربية المحبطة من خذلان الأمة فالصورة البلاغية تشخص الدم بأنه "يعري الشعر والعشق" يعني أن الواقع العنيف يفضح الزيف العاطفي والخطابي وهذا يشير إلى كشف الزيف الثقافي والمجتمعي الذي يغطي عجز الأمة عن الفعل الحقيقي فالذات الشاعرة في حالة خجل وصمت والمفارقة: بين "الخجل" و"الصمت"، كناية عن العجز أمام معاناة الآخرين، الشاعر ينتقد ذاته أولاً ضمن خريطة العجز العربي.

١٢. قصائده في المقاومة تنتمي لأدب المقاومة بروح ناقِدة وعاطفة مجروحة، وهي مقاومة من نوع خاص، وليست فقط مقاومة للعدو، بل مقاومة للخذلان والصمت العربي ومقاومة عجزه المخزي.

الهوامش:

١- لسان العرب_مادة (قوم) ابن منظور الافريقي.

٢- القاموس المحيط .

٣- المعجم الوسيط.

٤- ومعجم المفاهيم والمصطلحات في الفكر العربي المعاصر - محمد عابد الجابري ضمن مشروع نقد العقل العربي معجم المصطلحات السياسية - جامعة الدول العربية.

٥- اتجاهات الشعر المعاصر في الجزيرة العربية:١٩.

٦- م.ن:١٩.

٧- الإنسان والمجتمع في الخليج العربي:٧٤.

٨- ينظر: الجذور الاجتماعية للديمقراطية في مجتمعات الخليج العربي المعاصر:٩.

٩- ينظر: توحيد الجزيرة العربية، مجلة (المستقبل)،تركي الحمد٢٩،ع(٩٣)،١٩٨٦م.

١٠- ينظر: الصراع على السلطة:٩٥.

١١- ينظر: اتجاهات الشعر المعاصر في الجزيرة العربية:١٩.

١٢- القصيدة وتحولات مفهوم الكتابة:٥٤.

١٣- ينظر: ملامح الحركة الأدبية في الخليج العربي والجزيرة العربية:٤٦.

١٤- معجم البابطين:مج٦|١٧٣.

١٥- القصيدة وتحولات مفهوم الكتابة:٥٤.

١٦- ينظر: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية:٢٣٩،٢٠٧.

١٧- ينظر: اتجاهات الشعر المعاصر في الجزيرة العربية:١٩.

١٨- ينظر: ثقافة الصحراء:٢٠.

١٩- ينظر: ترجمة الشاعر في معجم (البابطين للشعراء العرب المعاصرين):١|٧٧٤- ٧٧٥.

٢٠- رحلتي بين الدمية والقنبلة(في اثنينية خوجة)بقلم:جاسم الصحيح:٢

٢٠١٤www٠arab-|Htm٠٧١٢٦ .kanz٠blogspot٠com

٢١- رحلتي بين الدمية والقنبلة:٢.

٢٢- ينظر:م.ن..

٢٣- ينظر: شبكة هجر الثقافية، موقع إلكتروني، واحة الحوار الأدبي.

٢٤- جاسم الصحيح بين الشاعر والأسطورة: ٨٦.

٢٥- ينظر:شبكة هجر الثقافية،واحة الحوار الأدبي.

٢٦- ينظر:رحلتي بين الدمية والقنبلة:١.

٢٧- ديوان السيد حيدر الحلي:١\١٠٩-١١٠.

٢٨- ينظر:جاسم الصحيح بين الشاعر والأسطورة:٤٠.

٢٩- ينظر:ويكيبيديا-الموسوعة الحرة.

٣٠- ينظر:موقع(إسلام أون لاين):ثقافة

وفن|حسن نصر الله المنتصر بلا غرور.

٣١- ينظر:السيد حسن نصر الله في الشعر العربي المعاصر:٢٢٥:عبد علي آله بويه وبيوند سفري وعبد الحسين عباس الحلي،مجلة أهل البيت السنة السادسة،ع(١٢)١٤٣٣-٢٠١٢م.

٣٢- أعشاش الملائكة:٥٠٧.

٣٣- ديوان ابن الفارض: ٧٠.

٣٤- إشارة إلى ابنه البكر الشهيد هادي الذي فقده في مواجهات عسكرية دارت بين مقاتلي الحزب وجيش العدو في منطقة الجبل الرفيع جنوب لبنان،ينظر:حسن نصر الله..السيرة الذاتية.الجزيرة نت.

٣٥- أدباء معاصرون:١٧.

٣٦- ينظر:السيد حسن نصر الله في الشعر العربي المعاصر:٢٥٤.

٣٧- أعشاش الملائكة:٥١١-٥١٨.

٣٨- جاسم الصحيح بين الشاعرة الأسطورة: ١٠٨.

٣٩- فتافيت شاعر وقائع معركة مع نزار قباني:٢٦- ٣١.

٤٠- ظلي خليفتي عليكم:٤٩.

٤١- ينظر:دراسات نصية جمالية في الشعر السعودي الجديد:٣٨٠.

٤٢- ظلي خليفتي عليكم:٥٠-٥٢-٥٣.

٤٣- ظلي خليفتي عليكم:٥٦.

٤٤- ينظر:الصورة التلفازية والعمل الشعري،عبد الرحمن المحسني،مقال أدبي نشر في المدينة في ١٧|١|١٠١٠(سعورس).

٤٥- ينظر:الصورة بين البلاغة والنقد:٣٧.

٤٦- ظلي خليفتي عليكم:٥٧.

٤٧- أعشاش الملائكة:٣٧٩.

٤٨- م.ن:٣٩١.

٤٩- أعشاش الملائكة:٣٨١-٣٨٣.

٥٠- أعشاش الملائكة:٤٠٠- ٤٠١.

٥١- مدخل لجامع النص:٩٠.

٥٢- أعشاش الملائكة:٤٠١.

٥٣- نزار قباني (المجموعة الشعرية الكاملة): ٨٦\٣.

٥٤- ع(١٧)سنة ١٩٣٩. هذا القول للمفكر الفرنسي المشهور أناتول فرانس.ينظر:من موضوعات الحداثة في الأدب والصحافة:٧٠.

المصادر والمراجع:

١- اتجاهات الشعر المعاصر في الجزيرة العربية،د.أحمد الدوسري،هفن للترجمة والنشر والبرمجيات،ط١، ٢٠٠٩م.

٢- أدباء معاصرون،رجاء النقاش،الجمهورية العراقية،وزارة الاعلام، مديرية الثقافة العامة، سلسلة الكتب الحديثة رقم(٥١)،١٩٧٢م.

٣- أعشاش الملائكة، شعر جاسم الصحيح، تقديم سماحة العلامة الشيخ الدكتور أحمد الوائلي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع،ط١، ١٤٢٥- ٢٠٠٤م.

٤- الإنسان والمجتمع في الخليج العربي،بحوث الندوة العلمية العالمية الثالثة لمركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة الكتاب الأول،مطبعة الإرشاد -بغداد - ١٩٧٩م.

٥- ثقافة الصحراء،د. سعد البازعي الناشر. دار العبيكان،الرياض.ط٢، ١٩٩١م.

٦- جاسم الصحيح بين الشاعر والأسطورة، يحيي عبد الهادي العبد اللطيف، دار المحجة البيضاء، ط١، ١٤٣٢- ٢٠١١م.

٧- الجذور الاجتماعية للديمقراطية في مجتمعات الخليج العربي المعاصر،محمد غانم الرميحي، شركة كاظمة للنشر والترجمة، ط٢، الكويت،١٩٨٤م.

٨- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت- تموز،١٩٨٤م.

٩- ديوان السيد حيدر الحلي،تحقيق علي الخاقاني،منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط٤، ١٤٠٤- ١٩٨٤م.

١٠- فتافيت شاعروقائع معركة مع نزار قباني- جهاد فاضل- دار الشرق، ط١،١٤٠٩- ١٩٨٩م.

١١- القصيدة وتحولات مفهوم القصيدة،محمد الحرز،النادي الأدبي بالجوف،ط١، ١٤٣٢- ٢٠١١م.

١٢- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين،دراسات في الشعر العربي المعاصر،جمع وترتيب هيئة المعجم،المملكة العربية السعودية،ط١ ١٩٩٥م.

١٣- مدخل لجامع النص، جيرار جينيت، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة للنشر، العراق - بغداد، ١٩٨٥م.

١٤- من موضوعات الحداثة في الأدب والصحافة، د.عناد إسماعيل الكبيسي، ط١، بغداد، ٢٠١٠م.

١٥- ملامح الحركة الأدبية في الخليج العربي والجزيرة العربية إعداد عبد الجبار حمد حسين،

جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي- الدراسات اللغوية- السلسلة الخاصة ١٩٨٠م

١٦- نزار قباني، الأعمال الشعرية والسياسية، منشورات نزار القباني، بيروت، باريس، ط١٤،د.ت.

١٧- الصورة بين البلاغة والنقد، أحمد بسام ساعي، المنارة، ط١، ١٤٠٤- ١٩٨٤م.

١٨- الصراع على السلطة،حمد مشاري فيصل،مطبعة الطائف، دار سلوى للطباعة والنشر، سورية، ٢٠١٠م

١٩- ظلي خليفتي عليكم،جاسم الصحيح، الرياض- السعودية، ط١٤٢٤،٢- ٢٠٠٣م.

٢٠- دراسات نصية جمالية في الشعر السعودي الجديد (ممارسة في النقد التطبيقي)د.عبد الله خلف العساف،جامعة الملك فهد للبترول والمعادن،١٤٢٦- ٢٠٠٥م.

المجلات

١- السيد حسن نصر الله في الشعر العربي المعاصر،عبد علي،عباس الحلي،مجلة أهل البيت، السنة السادسة، ع(١٢)١٤٣٣- ٢٠١٢م.

٢- توحيد الجزيرة العربية،مجلة(المستقبل) تركي الحمد.

المواقع الإلكترونية

١- رحلتي بين الدمية والقنبلة(في اثنينية خوجة)بقلم:جاسم الصحيح www.arab-kanz.bloaspot.com/٢٠١٤/٠٧/٢٦.html

٢- حسن نصر الله السيرة الذاتية الجزيرة نت.

٣- حسن نصر الله المنتصر بلا غرور، موقع (إسلام اون لاين).

٤- شبكة هجر الثقافية موقع إلكتروني،واحة الحوار الأدبي.